﴿وَأُلۡقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ١٢٠﴾ [الأعراف: 120]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

لمّا كان الضّمير مُشتركًا في قولِه تعالى: ﴿فَغُلِبُواْ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُواْ صَٰغِرِينَ ١١٩﴾ [الأعراف: 119] جُرِّدَ المؤمنون، وأُفرِدوا بالذّكر[1]؛ لِعظيم ما جاؤوا به من صنيع الصّادق في فعله، الذي لا يأبهُ بالعقوبة، ولا يخشَى الانتقامَ.

العَلاقةُ بين مُعْجزةِ موسَى، وسُجودِ السّحَرةِ، بقلوبٍ وَجِلَةٍ، ووُجوهٍ نَضِرةٍ

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿سَٰجِدِينَ﴾ السّين، والجيم، والدّال أصلٌ واحد مطَّردٌ يدلُّ على تطامُنٍ وذلٍّ. يُقال سَجَدَ، إذا تطامَنَ. وسَجَدَ؛ إذا طأطأ رأسَه، وانحنى. ووضع جَبهته على الْأَرْضِ. وجعل ذلك عبارةً عنِ التّذلّل للّه، وعبادتِه. ولا خضوعَ أعظمَ منه[2]. ووفاقُ ذلك فمعنى السّجود في الآية بيّنُ الدّلالة.

❁ المعنى الإجْماليُّ:

سُجودُ السّحَرةِ لله، كان تَحوُّلًا جِذْرِيًّا مِنَ الكُفرِ إلى الإيمانِ

وأُلقي السّحرةُ عندما عاينوا من عظيمِ قُدرة اللّه، ساقطين على وجوهِهم سُجّدًا لربّهم؛ إذ لم يتمالكوا ممّا رأوْا من عظيمِ قُدرةِ اللّه تعالى فكأنّهم أُلقوا، أو أنّ اللّه تعالى ألقاهُم سُجّدًا؛ إذ سبَّبَ لهم منَ الهُدى ما وقعوا به ساجدين، أو سجدوا موافقةً لموسى وهارونَ فإنَّهما سجدا للّه شكرًا على وقوع الحقِّ فوافقوهما؛ إذ عرفوا الحقَّ فكأنّما ألقياهم[3]. أو أنّ ظهورَ بُطلان سحرِهم، وإدراكَهم بأنّ موسى على الحقِّ، قد حملَهم على السّجودِ للّه تعالى. وأنّ نورَ الحقّ قد بهرَهم وجعلَهم يُسارعون إلى الإيمان، حتى لكأنَّ

(1) أبو حيان، البحر المحيط: 4/364.
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة، والرّاغب، المفردات، وابن سيده، المحكم، وابن الأثير، النهاية: (سجد).
(3) أبو حيان، البحر المحيط: 4/364.

أحدًا قد دفعَهم إليه دفعًا، وألقاهُم إليه إلقاءً[1]، وإنّما ألقاهُم مُلقي الخوفِ منَ اللّه والشّوقِ إلى الخضوع بين يديه والذّلّ لديه، حين عرفوا أنَّ ما فعله موسى ﷺ أمرٌ سماويٌّ، فلمّا أيقنوا هذه الحقيقةَ لم يتأخّروا في الاستجابةِ حتى كأنهم خرّوا من غيرِ اختيارٍ ساجدين شكرًا للّه تعالى، ومَهابةً، وانسلاخاً عنِ الكفر، ودليلاً على أقصى غاياتِ الخضوع، فعلَ اللّه ذلك بهم حتى يُبْهَرَ فرعونُ، وملؤُه، وتحيّرَ عقولُهم[2].

وتُرشدُ الآيةُ الكريمةُ إلى أنَّ اللّه تعالى يهدي من يشاء بغير حساب. وقلبُ المرءِ معلّقٌ بين إصبَعين من أصابع الرحمن يقلبُه كيفما شاء، ومصداقُ ذلك أنّهم كانوا أوّلَ النّهار كفّارًا سحرةً وفي آخره شهداءَ بررةً، وإذا أراد اللّه بعبد خيرًا أحسنَ خاتمتَه، فترى المرءَ يولد في الإسلام وينشأُ بين المسلمين يبيعُ دينَه بكذا وكذا، وهؤلاء كفّارٌ نشؤوا في الكفر بذلوا أنفسَهم للّه تعالى[3].

وتَهدي أيضًا إلى فضل العلم، وأهمّيته؛ لأنّ أولئك الأقوامَ كانوا عالمين بحقيقة السّحرِ واقفين على مُنتهاه، فلمّا كانوا كذلك ووجدوا مُعجزةَ موسى ﷺ خارجةً عن حدِّ السّحرِ؛ علموا أنّه منَ المُعجزات الإلهيّةِ، لا من جنسِ التّمويهاتِ البشريّةِ، ولو أنّهم ما كانوا كاملين في علمِ السِّحر لَما قَدَروا على ذلك الاستدلالِ[4].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيُّ:

نُكْتَةُ إطلاق فعْلِ الإلقاءِ، بصِيغةِ البناءِ للمجهولِ:

شِدّةُ الانبِهارِ، بمُشاهدةِ مُعجزةِ العَليِّ القهّارِ

الواو في ﴿وَأُلْقِيَ﴾ عاطفةٌ، والإلقاءُ: مستعملٌ في سرعة الهويِّ إلى الأرض، من دون تريُّثٍ ولا تردّدٍ. وبُنِي فعلُ الإلقاء للمجهول لظهور

(1) طنطاوي، الوسيط: 5/350.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 3/84.
(3) أبو حيّان، البحر المحيط: 4/364.
(4) الفخر الرّازيّ، مفاتيح الغيب: 14/168.

الفاعلِ، وهو أنفسُهم، والتّقديرُ: وألقَوا أنفسَهم على الأرض[1]، أو أنّ سجودَهم ليس برأيهم، لكنه عمليةٌ انبهاريّةٌ ممّا حصل أمامَهم، وهو الانبهارُ بالحقّ، كأنّما ألقاهُم مُلْقٍ لشدّة خُرورِهم؛ إذ لم يتمالكوا ممّا رأوْا، والقصدُ المبالغةُ في سرعة الفعلِ وشدّته[2]. وفي ذلك تنبيهٌ على أنّ الحقّ بهرَهم لما رأوه من عظيم القُدرةِ وما تيقّنوا به نبوّةَ موسى آمنوا بقلوبهم، وانضافَ إلى ذلك الاستهوالُ والاستعظامُ والفزعُ من قُدرة الله تعالى[3]، فاضطرّهم ذلك إلى السّجود بحيث لم يبقَ لهم تمالكٌ، أو أنّ اللّه ألهمَهم ذلك وحملَهم عليه حتى ينكسرَ فرعونُ بالذين أراد بهم كسرَ موسى وينقلبَ الأمرُ عليه[4]، أو انّهم سجدوا موافقةً لموسى وهارونَ، فقد سجدا للّه شكرًا على وقوع الحقّ فوافقوهما؛ إذ عرفوا الحقَّ فكأنما ألقياهم[5].

بَلاغةُ الاسْتِعارةِ التّمثيليّةِ، في الآيةِ القرآنيّةِ:

شِـدّةُ خُـرورِهم تُـشْبِهُ حـالَ مَن أُلقيَ على وجْهِه

في قوله تعالى: ﴿وَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ﴾ استعارةٌ تمثيليّةٌ حيث شبّه حالَهم في سرعة الخُرور وشدّته حين شاهدوا المعجزةَ القاهرةَ بحال من أُلْقيَ على وجهه، فعبّر عن حالهم بما يدلُّ على حالِ المشبَّه به[6].

سِرُّ العُدولِ إلى العطْفِ بالواو، دونَ غيرِه:

تـأكـيـدٌ لـكَـوْنِ الإلـقـاءِ بسببِ انْـجـلاءِ الحـقِّ، وإزهاقِ الباطلِ

قال هنا ﴿وَأُلْقِيَ﴾ بالواو، ولم يقل ﴿فَأُلْقِيَ﴾ بالفاء الدالّة على التعقيب كما في آيتي سورتي [طه: 70]، و[الشعراء: 46]؛ لأنّ ﴿وَأُلْقِيَ﴾ هنا عطفٌ على قولِه تعالى: ﴿فَغُلِبُواْ﴾ فهو يشاركه بما تُفيده فاؤه من معنى التّعقيب، وكونِه مثلَه أثرًا لبُطلان سحرِ السّحرة، ووقوعِ الحقّ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 9/52.
(2) الزّمخشريّ، الكشّاف: 2/141، والشّعراويّ، تفسير الشّعراويّ: 7/4300 - 4301.
(3) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 2/440.
(4) البيضاويّ، أنوار التّنزيل: 3/28.
(5) أبو حيّان، البحر المحيط: 4/364.
(6) حقّي، روح البيان: 3/214.

بثبوت آيةِ موسى ﷺ، ولو عطفَ عليه بالفاء لدلَّ على كونِ السّجود أثرًا للغلبة والصَّغارِ لا لوقوعِ الحقّ، وبطلانِ كيدِ السّحر، وحينئذ يكون منافيًا لما في سورتَيْ طه والشعراء[1]. فهو إذن في حيّزِ فاء التّعقيب، أي: حصل ذلك كلُّه عقبَ تلقُّفِ العصا ما يأفِكون، أي: بدون مُهلةٍ، وتعقيبُ كلّ شيءٍ بحسَبِه، فسجودُ السّحرةِ متأخّرٌ عن مصيرهم صاغرين، ولكنّه متأخّرٌ بزمن قليلٍ، وهو زمنُ انقداح الدّليل على صدق موسى في نفوسِهم، فإنّهم كانوا أعلمَ النّاس بالسّحر، فلا يخفَى عليهم ما هو خارجٌ عنِ الأعمالِ السّحريةِ[2].

سِرُّ عَهْدِيّةِ الألفِ واللّامِ، وإظهارِ الفاعلِ:

تَـخـصِـيـصُ الـسُّـجـودِ بالسّحَرةِ دونَ الحاضِرين

التّقديرُ في: ﴿ٱلسَّحَرَةُ﴾ الذين كانوا سحرةً. و(أل) عهديةٌ، فهمُ السّحرةُ المعهودون أنفسُهم في ساحة المُنازلةِ، ووقعةِ التّحدّي، وكان هذا السّجود خاصًّا بهم دون بقيّةِ الحاضرين، فلذلك جيءَ به اسمًا ظاهرًا مجرّدًا منَ الضّمير؛ لئلّا يلتبسَ بضميرِ الجماعة الذي قبْلَه في ﴿فَغُلِبُواْ﴾، و﴿وَٱنقَلَبُواْ﴾ الذي هو شاملٌ للسّحرةِ وغيرِهم[3].

نُكْتةُ الإتيانِ بالسُّجودِ على صِيغةِ اسمِ الفاعلِ ﴿سَٰجِدِينَ﴾:

سُـجـودُهـم تَعبيرٌ عن كَمالِ هيئتِهم فيه

و﴿سَٰجِدِينَ﴾ حالٌ، والسّجودُ هيئةٌ خاصّةٌ لإلقاء المرءِ نفسَه على الأرض يقصدُ منها الإفراطَ في التّعظيم، وسجودُهم كان للّه الذي عرفوه حينئذ بظهور مُعجزةِ موسى ﷺ، والدّاعي إليه بعنوانِ كونِه ربَّ العالمين[4].

ويُرسّخُ مجيءُ السّجود على صيغة اسمِ الفاعل مَشْهَدَ حالهم، وشِدَّةَ تحقّقِه، أي: أنّهم أصبحوا بكامل هيئتِهم، وتمامِها في حال سجود، وثبت كأنّه وصفٌ لهم؛ إذ أصبحوا من أهل السّجود. وعبّر هنا وفي

(1) رضا، تفسير المنار: 9/61.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 9/52.
(3) أبو حيّان، البحر المحيط: 4/364، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 9/52.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 9/52.

الشعراء بـ ﴿سَٰجِدِينَ﴾ وفي طه بـ ﴿سُجَّدًا﴾ [ط: 70] مراعاةً لفواصلِ الآي؛ لأنّ آياتِ السّورتين - الأعراف والشعراء - أكثرُها على النّون[1].

❁ الفُروقُ المُعْجَمِيَّةُ:

(ألقي)، (خرَّ)، (سَقط)، (هَوِي):

الإلـقـاءُ سُرعـةُ الـهُـوِيّ إلى الأرض، وهـو الأنسبُ للسّياقِ مـنَ الألـفـاظِ الأُخرَى

معنى خرَّ سقط سقوطًا يُسمع منه خريرٌ، واستعمالُ الخرّ تنبيهٌ على اجتماع أمرين: السّقوطُ، وحصولُ الصوتِ منهم بالتّسبيح[2]. وهو الهويُّ مِنْ عُلْوٍ إِلَى سُفْلٍ سقوطًا يُسمَع مَعَه صَوْتٌ، ثمَّ كَثُرَ حَتَّى استُعمِل في مُطْلَق السُّقوط[3]. والسّقوط: طرحُ الشّيء من مكان عالٍ إلى مكان منخفضٍ كسقوط الإنسان منَ السّطحِ، ويُلمحُ فيه معنى الرّداءةِ، وقلّةِ الاعتداد به. قال الآلوسي: "وفرّق بعضُهم بين السّقوط والخُرور بأنّ الأول مطلقٌ، والثاني سقوطٌ له صوتٌ كالخرير"[4].

والهُوِيُّ: سقوط من علوٍّ إلى سفل، وأهْواهُ، أي: رفَعَهُ في الهواء وأسْقَطَهُ. أمّا الإلقاءُ فهو: طرحُ الشيءِ حيثُ تَلْقاه، أي: تَراهُ، فيُرى، ويؤخذُ، ثم صار في التَّعارف اسمًا لكُلِّ طَرْحٍ[5]. واختياره أنسبُ لسياق الآية والله أعلم؛ لكون الإلقاءِ مستعمَلًا في سرعة الهوي إلى الأرض، من دون تريّث ولا تردّد[6]، وهو يناسبُ انبهارَ السّحرة ممّا حصل أمامَهم، ممّا رأوه منّ الحقّ الذي أظهره الله على يد النّبيّ الكريم موسى ﷺ، كأنّما ألقاهم مُلْقٍ لشدّة خُرورهم[7]، فشبّه حالَهم في سرعة الخُرور وشدّتِه حين شاهدوا المعجزةَ القاهرةَ بحال من أُلْقيَ على وجهِه[8].

(1) الكرمانّي، غرائب التّفسير: 1/417.
(2) الرّاغب، المفردات: (خر).
(3) الزبيدي، تاج العروس: (خر).
(4) الآلوسي، روح المعاني: 9/46.
(5) الراغب، المفردات: (سقط)، و(هوى)، و(لقي).
(6) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 9/52.
(7) الزمخشري، الكشّاف: 2/141، والشعراويّ، تفسير الشعراوي: 7/4300 - 4301.
(8) حقي، روح البيان: 3/214.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الرابع عشر، سورة الأعراف من الآية 88 إلى الآية 163
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الرابع عشر، سورة الأعراف من الآية 88 إلى الآية 163 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 14 ، 800 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-10-4
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 14 : المجلد الرابع عشر، سورة الأعراف من الآية 88 إلى الآية 163.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-768-10-4
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-0402725 بتاريخ 2023/12/30م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»